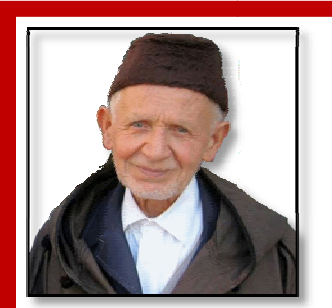


خطب من ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل



51. تحقيق السّعادة والفوز بصيام رمضان

2 رمضان 1380هـ الموافق 17 فيفري 1961م

الحمد لله الّذي يبعث الأمل في نفوس عباده، ويسوقهم إلى فعل الخير؛ ليفوزوا برحمته ورضوانه، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلّ شيء قدير، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، الّذي ميّزه الله بخصال كثيرة، وأعمال جليلة؛ حتّى فاز في نضاله، وأكمل نشر دينه، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين أيّدوا نبيّهم، وتوحّدوا معه حتّى قويت شوكتهم، وفازوا برضا ربّهم، سلام الله عليهم في الأوّلين والآخرين.

أمّا بعد: فإنّ وسائل النّضوج الفكريّ والكمال العقليّ كثيرة، فكما يستطيع الإنسان أن يوسّع دائرة عقله بأنواع العلوم والمعارف، والدّخول في ميدان المجتمعات الرّاقية، والأخذ بطريق الحكمة والتّجارب، كذلك يكون في إمكان كلّ واحد منّا أن يهذّب نفسه، ويزكّي روحه، ويقوّي إيمانه، ويعزّز صبره بأنواع الواجبات الدّينيّة، وطرق الرّياضات المختلفة.

وهكذا نرى أنفسنا اليوم أمام هذا الواجب الدّينيّ نقوم بتأديته، والامتثال لكلّ ما فيه من معان أدبيّة وأخلاقيّة؛ لأنّنا نريد أن نقوّي أرواحنا بتأدية هذه الشّعيرة الإسلاميّة؛ حتّى نتمكّن من التّغلّب على المادّيّات الّتي تحكّمت في نفوسنا مدّة إحدى عشر شهرًا من عامنا الماضي، وطغت على نفوسنا، وكادت أن تحطّم معنويّاتنا الّتي هي شعار حياتنا، وميزتنا الأدبيّة والخلقيّة، ولكن بما في فريضة الصّيام من بعض الحرمان الّذي يمنعنا من أنواع الطّيّبات والمشتهيات النّفسيّة في كامل نهارنا نجد ذلك الفقدان يزيد في صحّتنا الجسمية، وفي سائر معنويّاتنا ومثلنا العليا. وهكذا حتّى يكاد الإنسان أن يصبح في صفوف الملائكة؛ لإمساكه عن أنواع المأكولات، وعن فضول الكلام، إلّا عن ذكر الله أو ما فيه صلاح الفرد والمجتمع.

وفـي الواقع إنّ الإنسان لا يستطيع أن يدرك بذوقه حقيقة الشّيء الـحلو، ولا يعرف قيمته إلّا إذا تـجرّع ما فيه مرارة.

وهكذا إذا أردنا أن نرى كلّ شيء لذيذًا وحلوًا فـي هذه الـحياة، يـجب أن نقدّم لـذلك شـيئًا مـن تعـب جسدنا وعقلنا؛ حتى نستطيع أن نكسب السّعادة الدّنيويّة، ونفوز بعد ذلك بـالنّعيم الأبـديّ عنـد الله يـوم القيامة.

وإنّنا ندرك ذلك واقعيًّا عندما يـحلّ زمن الغروب، ونتناول فطورنا، نشعر بذلك الفرح الّذي لا نجد لـه مثيلا فـي كلّ وقت من أوقات حياتنا:

أوّلًا: تلك الرّاحة الـجسميّة والابتهاج عند تناول ذلك الغذاء.

وثانيًا: الاطمئنان الرّوحيّ بتأدية ذلك الفرض الدّينيّ والامتثال الـخالص لأمر الله.

وهكذا نجد كثيرا من الفوائد الـهامّة والأسرار العجيبة الّتي تفيدنا فـي تربية أرواحنا، وتربية عقولنا، ولذلك نرى الله –جلّ جلاله– يقول في كتابه الـحكيم: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَـا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ} [البقرة: 183، 184].